

الباش آغا السي خلادي بن ميلود، زعيم أهلي في منتصف المسافة مع الوطنية
(1895 – 1991)

**The Bachagha Si Khelladi Ben Miloud, an Indigenous leader
Journeying Halfway with Nationalism
(1895 -1991)**

محمد بن داره

جامعة أحمد دراية أدرار، bendara.m@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/01 تاريخ القبول: 2023/03/28 تاريخ النشر: 2023/03/30

ملخص:

يمثل الباش آغا السي خلادي بن ميلود، باش آغا قبيلة لعمور بملحق عين الصفراء، عينة متميزة في سلك الزعامات الأهلية الذي اعتمدته الإدارة الاستعمارية لمساعدتها في سياسة وإدارة الأهالي الجزائريين. ويمكن التمييز فيه يتمثل في كونه أنه بالرغم من كونه سليل بيت قدم الكثير من القياد (شيوخ، آغات وباش آغات) لفرنسا إلا أنه استطاع أن يلمس بحسه تناقضات النظام الاستعماري الذي كان يعمل فيه. هذه التناقضات التي كشفت له في مرحلة أولى عن عدالة مطالب الحركة الوطنية؛ كما دفعته في مرحلة ثانية إلى التعاطف معها ثم التفاعل مع إحدى تشكيلاتها. لكن ظلت مواقفه، قبل حرب التحرير وخلالها، تعكس شخصية منقسمة في داخلها بين مقتضيات الولاء ومقتضيات الانتماء. ولأنه لم يستطع الفصل بين الأمرين فقد بقي يراوح مكانه في منتصف المسافة مع الوطنية. هدف هذا المقال هو إمالة اللثام عن جانب مجهول من تاريخنا الجزائري المعاصر يتعلق بالقيادة والقياد في منظومة النظام الاستعماري، من خلال تناول الباش آغا السي خلادي بن ميلود في سيرته ومسيرته، وهذا من خلال وثائق أرشيفية أصيلة من الأرشيف الفرنسي لم تستغل من قبل. كلمات مفتاحية: الباش آغا السي خلادي بن ميلود؛ الزعامات الأهلية؛ القيادة والقياد؛ الوطنية.

Abstract:

The Bachagah Si Khelladi ben Miloud, Bachagah of Amours tribe in the Annex of Ain-Sefra, represents a particular case in the corps of indigenous chiefs, created by the colonial administration to help in the administration of the country. The particularity of the Khelladi's case resides in the fact that, despite his belonging to a large tent, which gave rise so many caïds (sheikhs, aghas, bachaghas, etc.) to France, he did not fail to come to grasps with the

contradictions of the colonial system. Firstly, it was these same contradictions that opened his eyes to the justness of the nationalist cause; then secondly, brought him closer to it, until he flirted with one of its components. Divided and undecided between the demand of belonging and that of professional loyalty, Khalladi remained halfway with Algerian nationalism. Thus, the objective of this article, and through a well-documented biography, is to reveal an unknown aspect of our contemporary history, that of this "native elite" who linked their destiny with the colonizer and to discover their inner breakdown.

Keywords: French colonization in southwest of Algeria ; indigenous leader ; Bachagha Si Khelladi ben Miloud ; Algerian nationalism.

1- مقدمة:

الباش آغا السي خلادي بن ميلود هو أحد أشهر باش آغات الجنوب الغربي الجزائري خلال فترة الاحتلال. فبالإضافة إلى كونه باش آغا قبيلة لعمور، وهي قبيلة كبيرة بمنطقة عين الصفراء، فقد اكتسب شهرته من ماضي أبيه في خدمة الإدارة الاستعمارية، ثم من مسيرته المتميزة خلال آدائه لوظيفته كزعيم أهلي: ذلك أنه وبالرغم من كونه زعيم في خدمة الإدارة الاستعمارية فقد كان على قدر من قوة الشخصية والنفوذ، حيث كان يعبر عن مواقفه بكل صراحة وجراحة، وهو مالم يكن مرحبا بها من طرف المستعمرين. ولذلك كان دوما محلا للانتقاد والعداوة من بعض الخصوم.

كما كان لبعض الأحداث التي وقعت له، سواء خلال فترة الحرب - أي الحرب العالمية الثانية- أو ما تلاها، أثر كبير في يقظة حسه الوطني والإحساس والوعي بما يعانيه شعبه وتفهم مطالب نخبته السياسية. فزاد ذلك من تقريبه من بعض تشكيلات الحركة الوطنية التي تعاطف معها بشكل علني إلى حد بعيد. ولكن، وبالرغم من هذا " التقدم " المحسوس، بقي السي خلادي في منتصف المسافة مع الحركة الوطنية، يراوح مكانه، يتعاطف معها ولا يدخل فيها؛ وفي نفس الوقت يختلف مع الإدارة الاستعمارية ويتمسك ببرنوسها الأحمر، برنوس الباشاغية. ولذلك ظلت مواقفه، سواء قبل حرب التحرير أو أثناءها، تعكس التردد والاضطراب بين مقتضيات الولاء ومقتضيات الانتماء.

وبناء عليه، سنحاول في هذا المقال تناول هذه الشخصية بالدراسة والبحث من خلال محاولة الإجابة على الإشكالية التالية: من هو الباش آغا السي خلادي بن ميلود؟ وما هي سيرته وما هي مسيرته؟ ولماذا بقي في منتصف المسافة مع القضية الوطنية؟ أما هدفنا من ذلك فهو محاولة إزاحة الستار عن جانب من تاريخنا المعاصر المتعلق بفئة من الجزائريين التي ربطت مصيرها بالاستعمار فاستحقت إدانة التاريخ، في حين أن بعض عناصرها لم يكونوا على ذلك القدر من السوء. كما سنحاول الوقوف على طبيعة العلاقات السائدة بينهم وبين المستعمر. وسنعمد في تحقيق ذلك على وثائق أرشيفية حصلنا عليها من الأرشيف الفرنسي، أرشيف ما وراء البحر بأكس أون بروفانس¹، وهو ما سيعطي ولا شك لهذا البحث أصالته وجدته. كما سنعمد على المنهج التاريخي، الاستردادي، في عملية استعادة الوقائع ونقدها.

2- أسرته ومحيطه

ولد الباش آغا السي خلادي بن ميلود ونشأ في بيت عز وشرف. فأبوه هو الباش آغا السي مولاي ولد السي محمد بن ميلود، وهو شخصية سياسية ودينية في نفس الوقت. فإلى جانب كونه باش آغا لقبيلة لعمور كان أيضا رئيسا للطريقة اليوسفية، إذ أنه سليل مؤسسها سيدي أحمد بن يوسف الذي توفي ودفن بمليانة في حوالي سنة 1525 م والذي لا يزال ضريحه موجود بها هناك.

وُلد السي مولاي ولد السي محمد بن ميلود في حوالي سنة 1864 بتيوت، بالقرب من مدينة عين الصفراء. يصفه الفرنسيون بأنه كان على قدر كبير من الذكاء ووضوح الرؤيا إلى جانب قوة عزم وشكيمة، اللتان اقترنتا بمكانته الدينية المستمدة من أصوله... فزاده كل ذلك رفعة في القدر وسؤدد على رعاياه (A. N. O. M., 21H 37, 1926). وكان تعليمه عربيا ولم يكن يجيد الفرنسية. كما كان على قدر كبير من الثراء، حيث قدرت ثروته آنذاك بعدة قطعان من الماشية (كانت ثروته الحيوانية في سنة 1921 تقدر بحوالي 300 رأس غنم، عشرة ثيران، وستة أحصنة) وبعض العقارات في كل من تتيوت، عين الصفراء وسعيدة وتلمسان. كما كانت له مداخيل أخرى

¹ - نخط القارئ الكريم علما بأننا في إحالتنا إلى هذا الأرشيف سنعمد الاختصارا التالية :

A. N. O. M. = Archives Nationales d'Outre-mer ;

B. R. M. = Bulletin de Renseignements Mensuel

تتمثل في معونة سنوية من الولاية العامة (subside annuel) تقدر بـ عشر آلاف (10.000) فرنك ثم رُفعت لتصبح اثني عشرة ألف (12.000) فرنك بداية من جانفي 1923. بالإضافة إلى حصة من الضرائب التي كان يتولى تحصيلها من الأهالي الجزائريين بالمنطقة كانت تقدر في سنة 1925 بـ 2500 فرنك (A. N. O. M., 21H 36) . (A. N. O. M., 21H 36)

وبالرغم أن السي مولاي كان سليل أسرة عريقة، ذات شرف ودين وطريقة صوفية، فقد ربطت باكرا مصيرها بالمستعمر. فقد عمل السي مولاي على جلب كل عائلته إلى خدمة فرنسا، وهو ما عاد عليهم بالكثير من الجاه والسلطان، فعمل أغلبهم كقواد وأغوات وباش آغات. من ذلك أخوه السي مولاي ولد السي محمد، المعروف بالسي مولاي أحمد بن يوسف، الذي تولى قيادة قبيلة السوالاة منذ سنة 1898 وإلى ما بعد سنة 1918 (A. N. O. M., 21H 3) ، ثم هناك أبنائهم الثلاثة، الذين أولهم السي خلادي، الذي هو موضوع هذا المقال، الذي يكون من مواليد سنة 1895 أو سنة 1897، والذي بدأ حياته فأيدا لقبيلتي أولاد سي أحمد بن محجوب وقبيلة سيدي بولنوار، والذي سيخلف أباه لا حقا في درجة الباشاغية، والثاني - وقيل هو الثالث - هو ابنه سي محمد التاقي، من مواليد سنة 1900، والذي عُيّن قائدا لقبيلة تيوت السوالاة في 27 جانفي 1922، ثم قائدا للقياد بتاريخ 22 ماي 1930. وكان يُؤثر عليه الذكاء والهمة والنشاط وكان يسوس قبيلته بشكل جيّد لولا اعتلاله بمرض الملاريا، (Paludisme) الذي كان يفرض عليه العلاج المستمر (A. N. O. M., 21H 36, 1923) . أما الابن الثالث فهو الأغا سي محمد المصطفى الذي كان سنة 1927 قائدا لقبيلة أولاد سيدي أحمد بلمحجوب. وكان هو الآخر يتّقد ذكاء ونشاطا لولا خِفة طبع كانت تستوجب جعله تحت المراقبة باستمرار (A. N. O. M., 21H 3) .

3- بدايات التحوّل النفسي والعقلي عند السي خلادي تجاه الفرنسيين

تلکُم هي البيئة التي نشأ وترعرع فيها السي خلادي بن ميلودي، الابن الأكبر للسي مولاي بن السي محمد. ولذلك فلا عجب إن سار على نهج أبيه في الولاء والخدمة للفرنسيين، وتقلّب في خدمتهم ونال من رضاهم ما أوصله إلى درجة أبيه، فأصبح هو أيضا باش آغا لقبيلة لعمور. ومن أكبر دلائل هذا الولاء هو أن السي خلادي دفع خلال الحرب الكونية الثانية، بابتاع له - وقيل بائنين (<https://www.senat.fr/>) - للدفاع عن فرنسا فلقي حتفه تحت علمها وفي

أرضها. فأكسبه ذلك امتنانا وتقديرا من الفرنسيين. وبالرغم أنه كان على قدر من قوة الشخصية والمزاج، فإننا نقدر - والله أعلم - بأن الفترة ما بين 1930 و1944 - وهي الفترة التي لم تنف على أرشيفها- كانت فترة وئام بينه وبين الإدارة الاستعمارية.

لكن مع قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية، بدأت تظهر على السي خلادي، ثم على محيطه، بوادر وأعراض التحول العقلي والعاطفي تجاه الإدارة الاستعمارية. وبالرغم من أننا لم نستطع الوقوف على أسباب ذلك، فإننا نقدر بأن هذه الأسباب تتصل بالأحداث التالية :

1- خسارته لابنه في الحرب الكونية الثانية، التي وإن استساغها بعقله كزعيم أهلي فلربما لم يستسغها بقلبه كأب، فابنه هو فلذة كبده. فبعد مجيء الحلفاء إلى شمال إفريقيا في نوفمبر 1942، قام الجنرال جيرود (Giraud)، الذي كان يمارس مهام القائد الأعلى للجيش الفرنسي بالجزائر خلال فترة الحرب العالمية الثانية، باستدعاء كبار الزعامات الأهلية التقليدية إلى مدينة الجزائر لدعوتهم لإعطاء القدوة وتقديم مساهمتهم في النضال لتحرير فرنسا. فقام السي خلادي بالدفع بأحد أبنائه - وقيل باثنين - للانخراط في الجيش طيلة مدة الحرب. ولما عُيِّن هذا الابن المجتد كضابط صف في فرقة للمدرعات، التمس هذا الأخير " الشرف " للعمل في دبابه قتالية، لكن طلبه قبول بالرفض بدعوى أنه يعمل في الجيش " برسم كونه أهليا". وهي «الإساءة» التي لم يغفرها أبوه أبدا لفرنسا. عدا أن هذا الابن المجتد لم يطل به الأجل طويلا إذ سرعان ما لقي حتفه مدافعا عن فرنسا بسهل الألزاس. وهو ما كان مصدر حرقه مضاعفة لأبيه السي خلادي (Kleinknecht, 2000, p. 147).

2- أحداث 8 ماي 1945 وما ترتب عنها من قمع وتقتيل للجزائريين. لا شك أنه - برغم الولاء الذي كان يكنه لفرنسا- كان السي خلادي يفهم ويتفهم الدوافع التي دفعت الجزائريين إلى التظاهر. إنه يعلم مقدار التضحية التي قدمها هؤلاء خلال الحرب -وهو واحد منهم- ويدرك مدى عدالة موقفهم. لا شك أن مظاهر القمع الوحشي التي رآها أو وقف عليها أو تواردت إلى علمه قد خلخلت شيئا ما من ولاءاته وقناعاته تجاه الفرنسيين.

3- قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل، وقع حدث محلي بمدينة عين الصفراء على قدر كبير من الأهمية والخطورة. فقد شهدت المدينة اكتساحا حقيقيا للوطنيين من أحباب البيان والحرية، الذين اكتسحوا الساحة وحققوا الكثير من الانخراطات في الحركة بين السكان الأهالي، سواء القاطنين بالمدينة وحتى بين البدو وسكان القصور. مهندس هذا الاكتساح هو السيد عبد القادر بوركبة (بن داره، صفحة ملحق رقم 23) ، المترجم القضائي لدى محكمة الصلح لعين الصفراء، وممثل الحركة بمهاته المدينة، ومساعديه كل من السيدين دحماني عبد القادر، العامل بالخرينة والذي كان مكلفا بالدعاية والانخراط في الحركة بين سكان المركز المدني؛ والتاجر شامي محمد، المكلف بالدعاية والانخراط لدى السكان البدو. لقد عرف هذا الثلاثي ومعهم السيد حنيش (بن داره، صفحة ملحق رقم 24) ، الذي كان يعمل كاتب ضبط بنفس المحكمة، كيف يُقدمون الحركة للناس من خلال اختزالها في مطلب بسيط وفي متناول الأفهام وهو: « المطالبة بالمساواة التامة بين الفرنسيين والجزائريين المسلمين، من خلال ترجمة ذلك فعليا وأنيا في المساواة بينهم في مجال التموين » (A. N. O. M., 9H 67, 1945) . وهو مطلب لقي نجاحا كبيرا وتفاعلا من لدن الجميع، لأن المسلمين الجزائريين كانوا يعتبرون أنفسهم بأنهم قد دفعوا ضريبة الدم مثل الفرنسيين وربما أكثر منهم، ولذا فهم يستحقون الحصول على نفس القدر من التموين. علما أن التموين، كان غداة الحرب من المسائل المعقدة التي كان يتوجب على الإدارة الاستعمارية مواجهتها وحلّها في أقرب الآجال. وبالرغم أن الندرة كانت عامة، إلا أن وطأها كانت أشد على الجزائريين. هذا، وبالرغم من أن حركة أحباب البيان والحرية كانت حركة شرعية ذات مطالب اندماجية، تطالب بالمساواة وليس بالاستقلال، فقد سببت انزعاجا حقيقيا للإدارة العسكرية بعين المكان. ففي تقريره إلى القيادة العليا بتاريخ 23 مارس 1945، عبّر المتصرف الإداري الرئيسي بالبلدية المختلطة لعين الصفراء عن ذلك بما يلي: « وبالجملّة، فإنه يبدو أن حزب أحباب البيان يشهد توسعا سريعا بين الجماهير المسلمة لِمُلحقي؛ كما أن نفوذه يتزايد أكثر يوما بعد يوم لأنني غير مدعوم ولا مُساعد من طرف الزعماء المحليين » (A. N. O. M., 9H 67, 1945).

4- في صيف سنة 1945، مرّ الباش آغا السي خلادي بن ميلود بتجربة مثيرة ومريّة. فقد ترشح أو عُيّن - لا ندرى- ليكون نائبا بالمجلس الوطني التأسيسي الذي استحدثته فرنسا بعد

التحرير. فالتحق بباريس برسم المهام الجديدة، لكن، ولأسباب غير معروفة، لم يطل مقامه بها طويلا، لأن المجلس لم يصادق على عضويته به. فشكّل له ذلك خيبة حقيقية في نفسه، ورجع أدراجه إلى منطقته، يجر أذيال الخيبة، فاقتدا لماء الوجه لدي من يسوسهم من الأهالي (Kleinknecht, 2000, p. 147). وسيحمل السي خلادي الإدارة الاستعمارية مسؤولية ذلك وسيضيفه إلى رصيده من الخيبات السابقة التي تلقاها من الإدارة الاستعمارية

4- التقارب مع حركة أحباب البيان والحرية

لم يطل صبر الإدارة الاستعمارية طويلا على حركة أحباب البيان والحرية بالمدينة، فقامت مصالحها الأمنية بتاريخ 14 ماي 1945 باقتحام مقر أحباب البيان والحرية بمدينة عين الصفراء وصادرت أرشيفه الموجود به، بما في ذلك قوائم المنخرطين في الحركة الذين تجاوز عددهم الستائة منخرط. وبمراجعة أسماء المنخرطين تفاجأت الإدارة الاستعمارية بوجود كل المسلمين من موظفي وعمال المكاتب بالمدينة، بما في ذلك غالبية أفراد عائلة وأقارب الباش أغا السي خلادي بن ميلود، وعلى رأسهم اثنين من القياد هما : بن ميلود على وبن ميلود عبد الرحمان (A. N. O. M., 9H 67, 1945). وعند إخطار الباش أغا السي خلادي، أنكر معرفته بالأمر، وقال لو علمت بذلك لأنتيتهم عنه. وهو رد استغربه السيد موسلي (Muselli)، المتصرف الإداري الرئيسي بالبلدية المختلطة لعين الصفراء، الذي واجهه بالأمر، لأن السي خلادي تجمععه صداقة قوية بالسيد بوركبة عبد القادر وكان يبدو غريبا أن هذا الأخير لم يذكر شيئا للسي خلادي عن انخراط بعض أقاربه في حركة أحباب البيان والحرية (A. N. O. M., 9H 67, 1947). والسؤال إذن هو : هل كان الباش أغا سي خلادي فعلا جاهلا بالأمر، أم أنه لزم الصمت متواطئا ؟ ثم بعد ذلك كيف يمكن تفسير عدم تفطنه هو كزعيم أهلي ومعه الزعامات الأهلية الأخرى لنشاطات السيد عبد القادر بوركبة وعدم تصديهم لها ؟ علما أنه يوم اقتحام مكتب الحركة بمدينة عين الصفراء، كان السيد بوركبة عبد القادر متواجدا بمكتب الباش أغا السي خلادي وفي غياب هذا الأخير، وقام من هناك، وباستعمال هاتف السي خلادي، بإخطار أخيه القاطن في مدينة مازونة بأمر الاقتحام. فماذا يعني كل هذا ؟

وفي النهاية، وبعد عدة مساعي بذلتها الإدارة الاستعمارية تجاه السيد عبد القادر بوركبة لاستمالاته والحصول منه على وقف لكل دعاية وطنية، اقتنعت هذه الإدارة بأنه شخص لا يمكن «تصحيحه»، فطلب قائد الإقليم من السيد الوالي العام على الجزائر تحويله إلى مكان آخر أو وضعه تحت الإقامة الجبرية (A. N. O. M., 9H 67, 1945). فكان الأمر الثاني، حيث وُضع تحت الإقامة الجبرية بقرية تاغيت بداية من تاريخ 23 جوان 1945 (A. N. O. M., 9H 67, 1945). أما بالنسبة للقائدين ميلودي على وميلودي عبد الرحمان، فقد بررا انخراطهما في حركة أحباب البيان والحرية بجهلهما بأن هذه التشكيلة هي تشكيلة مناوئة لفرنسا وموجهة لضرب السيادة الفرنسية، كما أنها تشكيلة مرخص لها من قبل السلطات الفرنسية. مع ذلك، رأي السيد موسلي أن ما قام به هذان القائدان هو خطأ مهني يستوجب إجراء تأديبيا يتمثل في توجيه توبيخ لهما يُحفظ في ملفيهما، مستبعدا في نفس الوقت اللجوء إلى ما هو أكبر من ذلك كالطرد وهذا مهانة للباش آغا السي خلادي؛ كما أن استبدال هذين القائدين بآخرين لن يزيد الأمر إلا تعقيدا. لأن القائدين الجديدين سوف يعانون من عدم تعاون السكان معهما، لأن هؤلاء، أي السكان، هم تحت النفوذ الكامل للباش آغا السي خلادي ومساعديه (A. N. O. M., 9H 67, 1947).

ولنعد الآن إلى حديثنا عن التغيّر العقلي الحاصل في عقلية السي خلادي وفي محيطه، أي عائلته، تجاه الفرنسيين بداية من سنة 1945. فبالرغم من جهلنا بأسباب وبدايات هذا التحول، فقد تواصل هذا التحول سنة بعد أخرى مما أثار استغراب وامتعاض الفرنسيين في الإدارة الاستعمارية. ويبدو أن هذا التحول له علاقة وثيقة بمرور حركة أحباب البيان والحرية بالمدينة، التي غدا فرعها منتدًى وقطباً لـ "المتطورين المسلمين" (les évolués musulmans) والزعامات الأهلية بالمركز المدني. أي أن جهود ونضالات السيد عبد القادر بوركبة - ومعه مساعديه - لم تذهب سُدى. فلا شك أن الصداقة التي كانت تجمعهم بالسي خلادي قد مكّنته من ممارسة قسط كبير من التأثير عليه، وتصحيح الكثير من المفاهيم والتصورات لديه. لأنه بداية من هذه السنة، وبالرغم من غياب السيد بوركبة في منفاه بالإقامة الجبرية بتاغيت، سيرتبط مصير الحركة بالباش آغا سي خلادي بن ميلود وبعائلته ارتباطا وثيقا. بل وسيمارس السي خلادي فيها -تارة بشكل خفي وتارة بشكل علني- دور المنشّط والمحرّك مما أعطى الحركة شيئا من السلطة في المدينة.

فبعد أشهر من حل فرع الحركة بالمدينة، بقي عناصر الفرع في وضع الانتظار والتحفظ، لا يمارسون أي نشاط سياسي. وبعد الإفراج عن زعيمهم فرحات عباس خلال الثلاثي الأول لسنة 1946، أبان السي خلادي عن تعاطف كبير مع الحركة، حيث استقبل ممثلها السيد مهرداد الذي زار عين الصفراء في إطار التحضير لبرنامج انتخابية (A. N. O. M., 23H 60, 1946). بعدها، وخلال شهر جويلية من سنة 1946، أعاد أعضاء هذا الفرع تنظيم أنفسهم في إطار جمعية كشفية، أطلقوا عليها اسم "الكشافة الإسلامية" وأعطوا رئاستها الشرفية للباش أغا السي خلادي الذي قبلها في أول الأمر ثم ما لبث أن تراجع عنها معتذرا، بناء على نصيحة تلقاها على ما يبدو من رئيس الملحق (A. N. O. M., 23H 60, 1946). بعدها، بدأ الفرع، مستترا تحت اسم "الجمعية الكشفية"، يستعيد نشاطه وعناصره القدامى ويأخذ زخما أكبر يوما بعد يوم تحت قيادة أعضاء من عائلة الباش أغا سي خلادي بن ميلود، وبمباركة من هذا الأخير (A. N. O. M., 23H 60, 1946). وكعينة على نشاط هذا الفرع الحزبي المستر بعنوان الجمعية الكشفية، وتحت قيادة الأغا بن ميلود سي زروق - ابن أخ الباش أغا السي خلادي - قامت هذه الجمعية الكشفية بتاريخ السادس والسابع من نوفمبر 1946 بتنظيم أمسيات مسرحية، تضمنت تقديم برنامج متنوع يحتوي على عروض فكاهية وأناشيد كشفية، كانت كلها بالعربية وحازت نجاحا كبيرا. قائد الملحق الذي تابع العروض لم يُخف انبهاره الكبير بذلك، حيث جاء في تقريره ما يلي: «لم تُسبغ العروض بروح وطنية، ولكن الفتیان، الذين بلغ عددهم الثلاثين، ظهروا في نظام بدیع. لقد أخضعوا لانضباط صارم وأوامر جافة. لقد أنشدوا أناشيد كشفية، جزائرية وتونسية، بطريقة تعكس همة وتفاعلا واقتناع، وهو أمر تجب الإشارة إليه» (A. N. O. M., 23H 60, 1946).

ما رآه قائد الملحق من بديع النظام وحسن الانضباط في هذه العروض المسرحية والفنية كان يمثل، في ذاك الوقت، ظاهرة منتشرة لدى الجمعيات الوطنية التي كانت تنشط في الحقل الفني والمسرحي والتي كانت تروم من خلال هذه العروض تربية الفرد الجزائري ونفض الغبار عنه وجعله قابلا للتحرر، من خلال إفهامه وإقناعه بأن التحرر يبدأ أولا بالتزام النظام والانضباط في كل شؤون الحياة. كما أن المفارقة والتباين الموجودين بين الفوضى والنظام والتسيب والانضباط، كافيين

لإحداث الوعي في ضمير الجزائري. وقد أدرك الفرنسيون بعمق دلالات ومغزى مثل هذا التعليم. لا شك أن هذا التعلق بالنظام والانضباط الذي ساد في تلك الفترة فيه شيء من الانبهار بما توارد إلى الأذهان عن الانضباط الألماني العسكري الذي شاعت أخباره بالدعاية المسموعة والمشاهدة التي روجها الجزائريون العائدون من جبهات القتال الأوروبية.

أما بالنسبة للسي خلادي، وبالرغم من التفاني التام الذي كان يميّزه في أداء مهامه، فإن اختياراته السياسية بدّت في هذا الوقت وكأنها نهائية ومفصّولة فيها. السيد موسلي، رئيس ملحق عين الصفراء، كان واضحاً جداً في ذلك، حيث كتب في تقريره الشهري ما يلي : « لقد اتخذ السي خلادي موقفه السياسي بشكل واضح. ومثلما قدمت في السابق، فأنا لا أتوقع منه أن يُغيّر الخط الوطني الذي رسمه لنفسه، حتى لو كانت هناك مؤثرات جديدة قد تؤثر فيه » (A. N. O. M., 23H 60, 1946). نفس التأكيد نقرأه في تقرير قائد الملحق لشهر ديسمبر 1946، الذي جاء فيه : « إن هذا الزعيم الأهلي لا يخفي بتاتا توافقه التام مع صديقه فرحات عباس » (A. N. O. M., 23H 61, 1946).

في هذه الأثناء، وفي مقام آخر يدل مدى التقارب الكبير الحاصل بين السي خلادي وأحباب البيان والحرية، أن عدد جريدة " المساواة " لشهر سبتمبر 1946 حمل في طياته تهنئة للسيد بن ميلود سي بن يوسف الذي ازدان بيته بمولود صبي، سماه على بركة الله شكيب أرسلان. في نص التهنئة ورد أن : « الأب، وهو ابن أخ صديقنا العزيز الباش آغا السي خلادي أراد باعتماد هذا الإسم تكريس ذكرى المبعثّل الشيخ شكيب أرسلان، كبير المدافعين عن الإسلام » ويبدو أن الأمر لم يُرقّ تماماً للباش آغا سي خلادي، فثارت ثائثرته على كل من ابن أخيه والسيد سايشي علي، السكرتير المحلي لأحباب البيان والحرية بالمدينة ومحرر المقال، لأنهما لم يستشيراه في الموضوع (A. N. O. M., 23H 61, 1947).

5- الخصومة مع الإدارة الاستعمارية

ولكن كيف أمكن للبشأ أغا خلادي التوفيق بين مشاعره و«ميولاته الوطنية» وولاءاته القديمة والتاريخية للفرنسيين؟ لا شك أن السي خلادي لم يكن مرتاح تماما بين الموقفين ! السيد موسلي، قائد ملحق عين الصفراء، يشرح ذلك كالآتي: « لا شك أن هذا الحزب - [أي أحباب البيان والحرية] - يحظى بدعم معنوي لا غنى عنه من لدن البشأ أغا سي خلادي. هذا الأخير، ومن خلال التستر بمظاهر مزاجية غضوبة ومنفجرة ومن خلال اعتماد مواقف حذرة، يحاول مهادنة الإدارة، التي يبقى متعلقا بها لاستدامة الاعتبار لنفسه وتحقيق مصالحه الخاصة « (A. N. O. M., 23H 60, 1946).

في شهر نوفمبر من سنة 1946 تم تنظيم انتخابات مجلس الجمهورية، حينها تلقى السي خلادي عرضا بالتشأ لها من قبل رئيس عمالة وهران. لكن السي خلادي رفض العرض لأنه لا يريد الترشأ في قائمة مضادة لقائمة أحباب البيان والحرية، وهو ما صأق له هؤلاء بحجارة. بل إن جريدة " المساواة " (Egalité)، لسان حال الحزب، لم تتردد في الثناء على هذا الموقف في عددها الخاص لشهر نوفمبر 1946 من خلال تخصيص أحد مقالاتها للبشأ أغا سي خلادي، الذي جاء بعنوان مثير هو " برافو خلادي (Bravo Khaladi)" مما يعني أن الحركة أصبحت ترى فيه "واحدا من عناصرها " (A. N. O. M., 23H 60, 1946). لاشك أن رفضه الترشأ ضد مرشح حركة أحباب البيان فيه انتقام من الإدارة الاستعمارية التي حألها مسؤولية إقصائه من عضوية المجلس الوطني التأسيسي في أوت 1945.

ومن هنا فإن مثل هذه المواقف، بالإضافة إلى التقارب العلني والصريح مع حركة أحباب البيان، وإصدار تصريحات جريئة ومنقأة ضد الإدارة الاستعمارية... ليس من شأنه إلا أن يزيد في تدهور العلاقة بين الجانبين، وسيرفع في عدد خصومه بالإدارة الاستعمارية، الذين كان على رأسهم كبير هذه الإدارة، آلا وهو مسؤولو الأعلى وهو السيد ليون لوهيرو (Léon Leheureaux) المدير العام لمديرية آقاليم الجنوب الجزائري بالحكومة العامة بالجزائر. هذا الأخير، الذي لم يكن يتحمل تصريحاته وانتقاداته الجريئة والمتكررة، لم يكن يرى في السي خلادي غير كتلة مكنتة من العيوب، ولذلك كانت له نظرة صارمة تجاهه، ضمنها تقريره المطأل الذي حرره للسيد نيجلان،

(Marcel-Edmond Naegelen) الوالي العام على الجزائر، من أجل تعريفه بالوضعية العامة لآقاليم الجنوب ووضعية العاملين بها، حيث نقتبس منه ما يلي :

إن الباش آغا الحالي، السي خلادي، شخص متعطر، منقوع بالكبر، مُغتدّ بنفسه، دون أبيه في المنزل، بعيد كل البعد عن وراثة خصاله الفضيلة ومشاعره النبيلة. إنه يُخفي تحت مظهره الديمقراطي الزائف، النموذج الحقيقي للإقطاعي المستبد والعنيد. وبالرغم من كل ما حَبَّته الإدارة الفرنسية من وجهة وشرف وأغدقت عليه من إكرام، أصبح السي خلادي يناصبها العداء، فهو من كبار المعجبين بفرحات عباس. ولو أخذنا تصريحاته على محمل الجد، فلربما يكون قد بنى طروحاته. لا شك أن ثقافته الفرنسية وحرارة وأبهة استقبالاته في إقامته الجميلة بتيت، بما في ذلك صراحته الجريئة، قد أَسْرَتْ أشخاصا عديدين. وأنا أعلم بأنه اكتسب تعاطفا ووُدا لدى عدد هام من الموظفين الساميين في الإدارة الجزائرية. ولكن بالنسبة لي، أنا الذي عَرَفَ جيدا أباه ودرس خلادي عن قرب لعدة سنوات، فإنني أرى وأحكم على هذا الأخير بأنه شخص لا يوثق به ولا يؤمن جانبه، بالرغم من كل ما قدم من آيات الولاء وعلى رأسها إعطاؤه ابنا لفرنسا كي يموت مدافعا عنها وعلى أرضها. وهذا لا يعني أنني أرى فيه مناهضا لفرنسا (anti-français) بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكنه شخص غير واعي ولا مُدرك لدلالات وأبعاد وتبعات كلامه وأفعاله. فطبعه الحذر الشكّاك والمستبد، المولع بالثأر والانتقام، والذي يظهر جيدا في مناقشاته، ليعث الرهبة والخوف بين القياد والشيوخ، بل وحتى بين العاملين في مكاتب البلدية المختلطة [يريد بذلك بلدية عين الصفراء المختلطة والتي كان للسي خلادي نفوذا كبيرا عليها بحيث لا يمكن لمتصرفها الإداري، السيد موسيلي (Mussilli) أن يتخذ قرارا إلا بعد مشورته وموافقته]. كما أن عشوائية أحكامه وعدم اعتدال كلامه، عندما يستولى عليه الغضب ويفقد صوابه يجعل منه شخصا مرهوب الجانب بسبب ردود

أفعاله العنيفة. ذلكم هو رأي وتلكم هي نظرتي في الرجل، وأعتقد موقنا بأنني لم أخطئه (A. N. O. M., 9 CAB 144, 1949, p. 25 & 26).

واضح من الاقتباس أعلاه، أنه كانت بين الرجلين خصومة قديمة ومستحكمة. وهي خصومة لم تنف على أسبابها. ونحن لا نستبعد أن يكون من أسبابها انتقادات صريحة ومباشرة يكون الباش أغا خلادي قد وجهها إلى السيد لهيرو ولم يتقبلها هذا الأخير ! علما أنه كانت للسيد لهيرو خصومات وخلافات مماثلة مع باش آغات آخرين، مثل تلك التي كانت له من الباش أغا مرهون بالأغواط. وهو ما يعني أن السيد لهيرو لم يكن هو الآخر بذلك الحمل الوديع... وواضح أيضا، أن السيد ليون لهيرو لم يجرؤ - بالرغم من كونه مديرا لآقاليم الجنوب الجزائري- على فعل أي شيء ضد السي خلادي بسبب "علاقاته العالية" في الإدارة الجزائرية آنذاك، والتي اكتسبها بفضل « وفائه... وحرارة وأبهة استقبالاته ». لكن السيد لهيرو لن يعدم الفرصة لتصفية حسابه مع خصمه، وستكون الانتخابات المقبلة للمجلس الجزائري مناسبة مواتية لتحقيق ذلك.

ومن هنا، سيعمل السيد ليون لوهيرو كل ما في وسعه لدحض السي خلادي وإقصائه والتضييق عليه، وبالأخص تقليم أظافره بالبلدية المختلطة لعين الصفراء، من خلال تحويل السيد موسلي، متصرفها الإداري، للعمل بمكان آخر، من أجل "تحريره" من القبضة القوية لسي خلادي، حيث كتب في تقريره أعلاه ما يلي:

يدير البلدية المختلطة لعين الصفراء السيد موسلي. إنها بلدية متواضعة الأهمية ولكن تسييرها حرج وشائك لأمرين: الأول هو وجود نواة صلبة من عمال السكة الحديدية الشيوعيين أو الذين هم في الطريق لأن يصبحوا كذلك؛ والثاني هو وجود زعيم مسلم من المنطقة هو الباش أغا بن ميلود خلادي الذي سنتكلم عنه لاحقا. إن السيد موسلي يعتني جيدا ببلديته، ويبدو أنه حاز على تقدير السكان. إنه يُنعم بـ "هدوء وعافية" إدارية بسبب تخليه التام عن كل سلطاته وصلاحياته. وبالفعل، فإن هاته البلدية يتحكم فيها السي خلادي، حيث لا يتم إقرار شيء إلا بموافقة هذا الزعيم

المسلم. إنها وضعية مُحلة بالهيبية الفرنسية، لأنها تضع السلطة في موقف ضعف ونقص، وهي وضعية تُنمّي عند السي خلادي نزوعا طبيعيا نحو التكبر والطغيان. ولذلك من الأهمية بمكان منح منصب ثان للسيد موسيلي من أجل تخليصه من هاته القبضة (A. N. O. M., 9 CAB 144, 1949, pp. 20-21).

كان ذلك في أفريل من سنة 1948، وهو ما تحقق فعلا في نفس السنة، في شهر أكتوبر (A. N. O. M., 23H 62, 1946)، إذ تم تحويل السيد موسلي من البلدية المختلطة لعين الصفراء إلى البلدية المختلطة للبيض. وبذلك يكون السيد ليون لوهيرو قد تمكن من توجيه ضربة أولى قاتلة إلى خصمه الباش آغا السي خلادي بتقليم أظافره بالبلدية المختلطة لعين الصفراء. وهذا في انتظار توجيه ضربة ثانية له من خلال تفويت الفوز عليه في أول انتخابات خاصة بالمجلس الجزائري؛ وهو ما سيؤدي حتما إلى حصر وإضعاف نفوذه بالمنطقة.

6- المشاركة في الانتخابات الأولى للمجلس الجزائري، أفريل 1948

كانت الأنظار في أوت 1947، مشدوّهة، تتابع باهتمام كبير أخبار التصويت على القانون العضوي للجزائر الذي سيصدر في 20 سبتمبر 1947. المنتخبون المسلمون، التابعون للإدارة، صوّتوا بنعم لصالح القانون الجديد. موقفهم هذا أدهش الكثير من المسلمين الجزائريين، ومع ذلك صقّ له هؤلاء، ومن بينهم الباش آغا سي خلادي ومجموعته من أحباب البيان والحرية، لأن هذا الموقف بزعمهم - وهذا من كلام السي خلادي حرفيا- سيجعل « كل الناس، وبالأخص العالم الخارجي، يعلمون بأن مسلمي الجزائر هم متحدون ومعادون للنظام الاستعماري لفرنسا » (A. N. O. M., 23H 61, 1947). وهذا بالرغم من أن هذا القانون الهيكلي هو : « فارغ ولا يحمل أي جديد لتلبية المطالب المشروعة للمسلمين » (A. N. O. M., 23H 61, 1947). في هذا الوقت بالذات، بدأ حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أي حزب فرحات عباس، يرفع من نبرته، إذ أصبح يطالب صراحة بالاستقلال الذاتي - وليس الكلي - للجزائر. وهو ما كان يقره الباش آغا سي خلادي ومجموعته من أحباب البيان والحرية. لأن الأنظار في هذا الوقت، كانت متجهة نحو الشرق الأقصى تتابع باهتمام التسويات الاستعمارية في كل من الهند

الصينية - الفيتنام - والهند البريطانية. وفي هذا الصدد انبهر "المتطورون" الجزائريون من التسوية البريطانية في الهند، بالإعلان عن ميلاد دولتين هما الهند وباكستان. حيث رأى فيه هؤلاء " سخاء أنجليزيا يجدر بفرنسا الاقتداء به في الجزائر " (A. N. O. M., 23H 61, 1947).

لا تتوفر لدينا أية معطيات كافية عن السي خلادي، كيف ترشح لهاته الانتخابات ؟ وكيف أدار حملته الانتخابية ؟ نعلم أن السيد خلادي قد كلف بعض أصدقائه في توات، وهو السيد الحاج أحمد بن الحاج قاسم، بتنشيط حملته الانتخابية بها. وقد أبلى هذا الأخير بلاء حسنا، فقد تعقب شيخ الطريقة الزيرية بالقنادسة، السي لعرج عبد الرحمان، الذي كان ينوي هو الآخر الترشح للمجلس الجزائري، قلنا تعقبه أين ما حل وأبطل دعايته بدعاية انتخابية أخرى لصالح السي خلادي. علما أن السي لعرج عبد الرحمان، ولأسباب أخرى، لم يطل به المقام طويلا إذ سرعان ما انسحب من هذه الاستحقاق، فاسحا المجال لكل من السي خلادي وخصميه السيدين بوعلام باقي حمزة بوبكر (بن داره).

وبخصوص هذا الأخير، أي السيد حمزة بوبكر، البروفيسور المدرس بثانوية مدينة الجزائر، فما كان له أن يترشح لهذه الانتخابات لولا رياح مواتية وظروف موافقة خدمته. لا شك أن انسحاب السي لعرج عبد الرحمان قد خدمه كثيرا. وكما أسلفنا، كانت للإدارة الاستعمارية حساباتها : فالراند ليون لهيرو كان يخشى أن يؤدي فوز ساحق للسي خلادي في الانتخابات المقبلة إلى تقوية نفوذه وتعزيز مكانته. بحيث تغدو هذه الانتخابات "استفتاء شعبيا" (un plébiscite) لتزكية شخص السي خلادي أكثر منها انتخابات للمجلس الجزائري، وهو أمر كان وارد الوقوع. وهو إن حدث، كان سيجعل الإدارة الاستعمارية أمام شخص مرهوب الجانب بسبب جرأته وصراحته المقلقة (A. N. O. M., 9 CAB 141, 1948)، والذي قد لا تستطيع فعل أي شيء معه بسبب ماضيه وخدماته. ولذا كان من اللازم تفويت الفرصة عليه وسلبه كل أصوات الناخبين في شمال إقليم عين الصفراء، والتي ستؤول - وفق حساباتهم - إلى مرشح آخر من أبناء أولاد سيدي الشيخ. تحقيقا لهذا المسعى، أبرق السيد لهيرو بتاريخ 19 مارس 1948 إلى ملحق البيض مستدعيا الباش آغا سي العربي بن الدين، فأيد أولاد سيدي الشيخ وشيخ زاوية الأبيض سيد الشيخ، للحضور على جناح السرعة إلى مديرية آقاليم الجنوب بالحكومة

العامّة بالجزائر طالبا منه ترشيح أحد أعضاء عائلته المسمى البروفيسور سي قدور بن النعيمي، المدرس بمدرسة تلمسان، ليكون مرشح الإدارة بهذه الانتخابات. هذا الأخير، كان يبدو آنذاك حائزا على جميع الخصال والمزايا : فقد كان السي قدور بن النعيمي « شابا حيويا في عزّ الشباب، 32 سنة، وكان يبدو الشخص الأكثر حيوية والأكثر ذكاء والمرموق بين كل أبناء قبيلة أولاد سيدي الشيخ » (A. N. O. M., 9 CAB 141, 1948). لكن السي قدور بن النعيمي رفض العرض المقدم له لأنه لا يريد أن يكون منافسا للباش آغا السي خلادي، الذي يحله ويعتبره - وهذا بالرغم من أنه ليس من أولاد سيدي الشيخ- بأنه «الأجدر، أكثر من أي شخص آخر، بالدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين مع بقائه وفيا لفرنسا » (A. N. O. M., 9 CAB 141, 1948). وإذن، فلم يكن أمام الرائد ليون لهيرو سوى القبول بشخص حمزة بوبكر، ابن عم سي العربي، وتزكيته وهذا بالرغم من ضعف شعبيته بين أبناء قبيلته، الذين صنفوه منذ زمن بعيد كـ « رجل فاسد » (un individu taré)، والذين امتعضوا كثيرا من تمثيلهم برجل مثله (A. N. O. M., 9 CAB 141, 1948). وهو الامتعاض الذي سيخلط حسابات الإدارة الاستعمارية يومي 4 و 11 أفريل 1948.

علما أنه عند اعلان ترشح السيد حمزة بوبكر لهذه الانتخابات، أدرك السي خلادي بثاقب نظريته أن ترشح السيد حمزة بوبكر، إنما جاء خصيصا من أجل حرمانه من قسم هام من أصوات الناخبين في شمال الإقليم. تلك كانت حسابات الإدارة الاستعمارية. حينها، قال السي خلادي لمسؤولي هذه الإدارة: « إن الأصوات التي تريدون سلبها بإيهاا بشمال الإقليم لن تؤول إلى بوبكر حمزة ولكنها ستؤول إلى حركة الانتصار » (A. N. O. M., 9 CAB 141, 1948). وهو ما تحقق فعلا كالنبوءة.

بعد الإعلان عن نتائج الانتخابات، وعودة الفوز فيها إلى السيد بوعلام باقي، عاد الباش آغا سي خلادي باللائمة على الإدارة الاستعمارية التي جعلها المتسبب في حرمانه من هذا الفوز. لكن قائد الملحق رأى أن اندحار السيد خلادي لا يعود للإدارة، التي لم تكن دقيقة في حساباتها، بقدرما يعود أساسا لفقدان هذا الأخير للوجاهة و " البريستيج " (le prestige) اللذين كانا له في السابق بين رعاياه. وفي ذلك يقول: « إن هذه الانتخابات قد كوّست في الواقع وبوضوح انخفاضاً في الوجاهة والسلطة لدى الباش آغا السي خلادي بين رعاياه المباشرين أنفسهم. إنهما،

أي هذه الانتخابات، تؤكد وضعية خطيرة طالما أخطرت عنها مرارا بنفسي، والتي تكمن خطورتها في كون الباش أغا خلادي هو من تسبب فيها بنفسه، بمواقفه التي اتخذها منذ زمن طويل [يريد بذلك تعاطفه مع أحباب البيان والحرية] والتي تسببت في الابتعاد التدريجي للسكان القصوريين والبدو عن السلطة المحلية « (A. N. O. M., 23H 62, , 1948). كلام قائد الملحق هذا، هو على قدر من الصحة برغم علاقته الكثيرة. فقد أبانت نتائج هذه الانتخابات أعلاه أن الباش أغا سي خلادي قد مُني بهزيمة نكراء في عقر داره : فمن أصل 4.322 مسجّل بملحق عين الصفراء، لم يصوّت في هذه الانتخابات إلا أقل من النصف بقليل، أي 1.920 مصوّت، من بينهم 1.900 صوت مُعبّر عنها، توزعت مناصفة بينه بـ 961 صوت وبين السيد بوعلام باقي بـ 924 صوت. وهذا هو فعلا ما يسميه قائد الملحق بضعف الوجهة والبريستيج (A. N. O. M., 9 Cab 89, 1948).

في اليوم الموالي للانتخابات، أي في 5 أفريل، تعرّض الباش أغا السي خلادي لاعتداء باستعمال السلاح الأبيض من طرف عضو نشط بحركة الانتصار، الذي تم توقيفه من الغد بمعية خوجة الملحق السيد باقي طاهر، الذي وقر له الإيواء، حيث وُجهت لهذا الأخير تهمة "التستر على أشرار" (recel de malfaiteurs) (A. N. O. M., 23H 62, 1948).

7- هل هي القطيعة بين الجانبين ؟

ولكن ماذا عن مستقبل العلاقة بين الجانبين ؟ وهل يمكن اعتبار أن القطيعة قد وقعت وتمت بين الجانبين ؟ كإجابة عن هذا التساؤل، يرى قائد ملحق عين الصفراء بأن العلاقات بين الجانبين محكوم عليها بالتراخي والتباعد، لا بسبب نتائج الانتخابات في حد ذاتها ولكن أيضا بسبب الاختيارات السياسية التي تبناها السي خلادي والتي لا يبدو أنه مستعد للتراجع عنها. وفي هذا يقول :

ليس من المؤكد أن هذا الإخفاق سيقرب أكثر الباش أغا من الإدارة؛ إنه يبدو بالفعل منجذب أكثر فأكثر لشخص وأفكار السيد فرحات عباس، الذي التقى به مؤخرا في وهران [في بداية ماي]. والأدهى من هذا كله هو أنه يسعى إلى

مهادنة حزب الشعب الجزائري، الذي صرّح بخصوصه بأنه " لو علم مقدما بأن نفوذه في إقليم عين الصفراء هو على هذه الدرجة من القوة لما ترشّح ضده ". إن الباش آغا خلادي هو شخص متعطر ومتكبر، يبذل كل ما في وسعه للحفاظ على وجاهته لأطول مدة ممكنة، ولذا فهو يلعب، ومنذ زمن طويل، على كل الجبهات ولكن دون حظ كبير في النجاح لأن أوراقه أصبحت مكشوفة للجميع. آخر أوراقه هو أنه يقدم نفسه على أنه ضحية من ضحايا الإدارة (A. N. O. M., 23H 62, , 1948) .

وفي نفس هذا السياق، أكد العقيد كونار، قائد الإقليم، في مراسلة له بتاريخ 24 ماي 1948، بأن أجواء الجفاء والقطيعة بين الجانبين، أي بين السي خلادي والإدارة الاستعمارية، لم تعد تقتصر فقط على شخص الباش آغا السي خلادي، ولكن أيضا مع كل عائلة خلادي، وبالأخص مع أخويه الأغا مصطفى والثايد سي التاقي، بما في ذلك ابن السي خلادي نفسه، التلميذ السابق بثانوية وهران، الذين جعلوا مسافة بينهم وبين الإدارة الاستعمارية. هذا، وستستمر أجواء القطيعة إلى غاية شهر مارس من سنة 1950، أين سيقوم الباش آغا سي خلادي بأول زيارة له منذ الانتخابات - أي منذ ما يقارب العامين - إلى السيد العقيد قائد الإقليم. هذا الأخير علّل الزيارة بأنها دليل على أن السي خلادي « بدأ يشعر بتدني وجاهته وبأنه بصدد البحث عن داعمين جدد » (A. N. O. M., 23H 64, 1950).

أما بالنسبة لموضوع المراسلة أعلاه، فكانت تتعلق بفتح تحقيق حول معلومات استعلاماتية تتعلق بوجود " تجارة للسلاح " يتم ترتيبها بين عائلتي السي خلادي وعائلة " ديب " بتلمسان، المعروفة بتوجهاتها الوطنية لحزب الشعب. ما لم يكن معروفا وكان قيد التحقيق هو هل يتعلق الأمر بالبحث عن السلاح من أجل الدفاع عن النفس، وبالأخص بعد حادث الاعتداء على شخص السي خلادي ؟ أم أن الأمر يتعلق بتسليح عناصر تابعة للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري للقتال ربما ضد حزب الشعب أو ربما ضد الإدارة الاستعمارية ؟ وأخيرا ما درجة تورّط السي خلادي في هذه المسألة : هل هو يعلم ؟ أم لا يعلم ؟ أم أن الأمر كله من تدبير أخيه الأغا سي مصطفى بن ميلود ؟ (A. N. O. M., 1H 75, 1948) .

ومهما يكن من أمر هذه التجارة وحتى الإخفاق في الانتخابات، فإن ذلك لم يزد الباش أغا إلا إصرار وثباتا على مواقفه السابقة والمؤيدة للسيد فرحات عباس وحزبه الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U. D. M. A.)، إذ سيغدو السي خلادي بداية من هذا الشهر المناصر والدعائي المتحمس الأول لهما بالمنطقة (A. N. O. M., 23H 62, 1948). مظاهر الدعم الأولى لهذا الحزب ستتحقق عند شروع المجلس الجزائري في بحث سبل تنفيذ المادة خمسون من القانون العضوي للجزائر والمتضمنة إلغاء نظام أقاليم الجنوب وتنظيم الأقاليم التابعة له في شكل عمالات، أين سيستعمل السي خلادي كل وجهته وسلطته - وبطرق ملتوية أحيانا - لدعم مقترحات الحزب أعلاه فيما يخص تنظيم شمال إقليم عين الصفراء، وبالحصوص منطقتي المشربة وعين الصفراء (A. N. O. M., 23H 62, 1948). بل لقد أعلن عن نيته في ترشيح نفسه لانتخابات الكانتونات عندما يتم إلحاق شمال الإقليم بعمالة وهران (A. N. O. M., 23H 63, 1949).

في شهر أكتوبر من سنة 1950 بدأت الاستعدادات للانتخابات الثانية للمجلس الجزائري. السي خلادي، الذي لم يعلن ترشحه لهذه الانتخابات بدا، هو والسي لعرج عبد الرحمان، معارضين تماما لترشح السيد حمزة بوبكر وعبرا عن ذلك صراحة للسيد قائد الإقليم. كما قدّم السي خلادي وعدا بمناصره السي لعرج عبد الرحمان ودعمه إذا ما قرر الترشح لهذه الانتخابات؛ فإذا ما قرر عدم الترشح فإنه سيلتزم الحياد تجاه مرشح الإدارة (A. N. O. M., 23H 64, 1950). موقفه العدائي تجاه حمزة بوبكر سوف يكون بداية لعداوة طويلة، أين سيحاول كل منهما التدخل في مجال نفوذ خصمه لإلحاق الضرر به، مثلما سنرى ذلك بعد قليل.

في شهر ديسمبر من نفس السنة، ومع اقتراب موعد الانتخابات، وبعد أشهر من السكون، سُجِّل على السي خلادي نشاط مكثف، ينم عن شيء من " عودة الرغبة لديه في السياسة "، حيث غاب فترات طويلة بكل من الجزائر وهران وأجرى بهما اتصالات عديدة مع الإدارة العليا ومع أصدقاء سياسيين آخرين. وكان واضحا أن هدفه غير المعلن يتمثل في « تسويق نفسه على أنه الرجل السياسي الوحيد بإقليم عين الصفراء القابل للاستعمال »، وهو ما يعني أنه لا يستبعد تماما فكرة الترشح للمجلس الجزائري (A. N. O. M., 23H 64, 1949). وفعلا قام

السي خلادي بمساعي في هذا الاتجاه وقدّم طلبا بالترشح للمجلس الجزائري، مدعيا أنه تلقى تشجيعات من مكتب الوالي العام على الجزائر بالإضافة إلى تشجيعات أخرى من عدة برلمانيين آخرين. كما قام بإيفاد مبعوثين من قبله إلى بشار للشروع على الفور في اتصالات مع الناهخين الموالين له بهذه المدينة للتحضير لحملة الانتخابية. وبالرغم من كل هاته المساعي، ولأسباب لم نقف عليها، تراجع السي خلاده عن طلبه عند آخر لحظة وقام بسحبه وانسحب من هذه الانتخابات (A. N. O. M., 23H 65, 1951).

وبالرغم من إدعائه، عند تقديم ترشحه لانتخابات المجلس الجزائري، حصوله على تشجيعات من مكتب الوالي العام على الجزائر، نجده، عند استقالة هذا الوالي العام من منصبه - والذي هو ليس شخصا آخر غير السيد نيجلان- قد أظهر وبشكل علني وغير متحفّظ سروره ورضاه لذهاب هذا المسؤول، غير مخفيا غبطته من أن استقالة هذا المسؤول قد تسبب فيها أحد المنتخبين المسلمين (A. N. O. M., 23H 65, 1951). وبالرغم من هذا الموقف المناوئ للإدارة الاستعمارية فإن ذلك لم يحل دون حصوله في نفس الشهر تقريبا على وسام " الضابط الكبير لجوقة الشرف " (Grand Officier de la Légion d'Honneur) وهو ما زاد- حسب التقرير الشهري للمحق عين الصفر- « في وجاهته وأكد للجميع الخطوة التي يتمتع بها لدى الإدارة الاستعمارية » (A. N. O. M., 23H 68, 1953). وهو ما يعكس علاقة غريبة بين الجانبين : فبالرغم من " التجاوزات " العديدة للسي خلادي، نجد الإدارة الاستعمارية وكأنها تحاول جاهدة ضبط نفسها والتحلي معه بالصبر الكبير وغض الطرف عن تجاوزاته للحيولة دون وقوع قطيعة نهائية مع زعيم أهلي كبير يتمتع بنفوذ كبير وقدمت عائلته الكثير لفرنسا. وذلك ما سنشاهده يتكرر مع شخصية أخرى، ألا وهي شخصية مولاي لحسن الرقاني، قائد رقان.

بتاريخ 24 جانفي 1954، تنافس السي خلادي بن ميلود مع نظيره السي لعرج عبد الرحمان على مقعد مستشار الجمهورية بمجلس الشيوخ عن عمالة وهران والإقليم. وقد تسبب تنافسهما في إحداث حرج كبير للأعيان الأهالي الذين كانوا يكونون احتراما كبيرا للشخصيتين. مبادرة السي لعرج عبد الرحمان إلى الانسحاب من المنافسة رفعت هذا الحرج، وتمكن بذلك السي خلادي من الفوز بهذا المقعد في الدور الثاني من الإقتراع بـ 734 صوت في مقابل 138 صوت

لمرشح الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (A. N. O. M., 23H 69, 1954). فوزه في هاته الانتخابات كان ضمن قائمة " التفاهم الفرنسي - الإسلامي، " (L'Entente Franco-Musulmane). وواضح من خلال هذه الانتخابات ودخول السي خلادي فيها في منافسة ضد مرشح الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري أنه حصل تطور عند السي خلادي : فخلادي لسنة 1954 ليس هو تماما خلادي لسنة 1946، الذي رفض الدخول في منافسة انتخابية أمام أحباب البيان. فهل يعني ذلك رجوعه إلى الفرنسيين وكبحه لانسياقاته الوطنية ؟ ربما، على الأقل في شكل تعاطف سياسي ظاهر، مثلما كان الأمر مع الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ! أما بالنسبة لقناعاته الوطنية الداخلية - على الأقل في مستواها الإنساني كالتعاطف مع الجزائريين في معاناتهم-، فيبدو أنها بقيت على حالها.

علما أن السيد حمزة بوبكر، الذي لم يهضم فوز السي خلادي، بدا عازما على خلق المتاعب لهذا الأخير. آخر خرجات السيد حمزة بوبكر هي قيامه بمساعدة طائفة مناهضة للسي خلادي من قبيلة لعمور، حيث ساعدها على تنظيم نفسها في جمعية " للدفاع عن مصالح قبيلة لعمور وحماية حقوقها"، حيث يكون البروفيسور حمزة بوبكر قد باشر بنفسه القيام بكل الإجراءات القانونية والإدارية اللازمة لاعتمادها، من خلال تقديم ملف الجمعية لدى عمالة الجزائر، إلى أن حصلت على الاعتماد والصدور في الجريدة الرسمية. الطريف هنا هو أن أعضاء مكتب هذه الجمعية، اعتقدوا أن حصولهم على الاعتماد من السلطات المركزية بمدينة الجزائر يعني حصولهم على الاستقلالية الذاتية وأنه بإمكانهم التواصل مباشرة مع الإدارة في الجزائر دون الحاجة إلى المرور عبر البلدية المختلطة لعين الصفراء أو حتى إدارة الإقليم ! (A. N. O. M., 23H 69, 1954).

في أكتوبر 1955، وقّع المنتخبون الجزائريون بالمجالس المختلفة، على ما يسمى بـ " لائحة الدكتور بن جلول " الممضاة من قبل واحد وستين برلمانيا جزائريا؛ وهي اللائحة التي ستأخذ بعد ذلك اسم "لائحة الواحد والستين" (la Motion des 61). حيث قدمت الصحافة الباش أعما السي خلادي على أنه أحد محرري اللائحة التي ترفض دمج الجزائر في النظام السياسي الفرنسي. وهو الخبر الذي ألم عائلته وأقاربه وأسعد خصومه المحليين لأنه سيضع السي خلادي في موقف

حرج أمام الإدارة الاستعمارية. ولتدارك الأمر، انتشرت شائعة مفادها، أن السي خلادي لم يزد عن وضع إمضائه في آخر قائمة الإمضاءات للإلحاح، التي تم التصويت عليها بالأغلبية (A. N. O. M., 23H 72, 1955). في هذه الأثناء، عثرت المصالح الأمنية الاستعمارية بتراب الملحق على منشور صادر عن جبهة التحرير الوطني يتناول هذه اللائحة، والذي يكون - من منظور المتصرف الإداري بالبلدية المختلطة لعين الصفراء - قد وصل عين الصفراء عن طريق " الخطأ"، والذي لا نظنه كذلك، بل ونعتقد أنه موجه للسي خلادي شخصيا. هذا المنشور صوّر المبادرة أعلاه على أنها مراوغة من أصحابها، من الذين نعموا واستفادوا من النظام الاستعماري ولا زالوا يتلقون منه أجورا دسمة ويريدون في نفس الوقت التحضير للغد من الآن من أجل الظفر بكرسي في الجمهورية الجزائرية المستقبلية المستقلة. ولذلك -يقول المنشور- من السهل عليهم اليوم « رفع احتجاجات والتصويت على لوائح لأنها بالنسبة لهم أقل خطورة من رفع السلاح والصعود إلى الجبال » (A. N. O. M., 23H 72, 1955).

وفي نوفمبر من سنة 1957، بادر السي خلادي، بمعية خمسة نواب مسلمين من زملائه، بتقديم احتجاج لرئيس الوزراء فليكس فيار حول ما أسموه بالقمع الجماعي البغيض ضد سكان عزّل وبلا دفاع. ولما توفي أخاه -أو قتل- حيث كان معتقلا لدى الفرنسيين، والذي كان يعمل مستشارا عاما بمجلس عمالة وهران، زادت عداوته للسلطات الفرنسية، فقدم بتاريخ 27 فيفري استقالته من مجلس الجمهورية ليعبّر بشكل ساطع عن معارضته للسياسة الفرنسية في الجزائر (<https://www.senat.fr/>).

8- الخاتمة

وبالجملة، يبدو مسار الباش آغا سي خلادي بن ميلود مسارا متميّا إلى حد كبير. فبالرغم من ماضيه وماضي عائلته الطويل في خدمة الإدارة الاستعمارية فقد استطاع أن يلمس بحسه وقلبه تناقضات النظام الاستعماري. فقربه ذلك آليا من الحركة الوطنية، ممثلة في أحباب البيان والحرية، وهي الحركة الوطنية الوحيدة التي كانت موجودة آنذاك في الساحة بمدينة عين الصفراء. والتي كانت تقف في بداياتها الأولى أمام النظام الاستعمار في منتصف المسافة : فهي لا تطلب القطيعة مع فرنسا ولا الاستقلال عنها لأن ذلك -في رأيها- ليس في مصلحة الشعب

الجزائري، وإنما تطالب فقط بالمساواة في الحقوق والواجبات، أي الاندماج. مثل هذه النظرة كانت آنذاك "مستساغة" أو لنقل قابلة للفهم من قبل المستعمرين، لأنهم هم أنفسهم كانوا واعين بحالة الانسداد والأزمة التي وصل إليها نظامهم الاستعماري. ولذلك، فإننا نعتقد بأن مواقف وطنية من أمثال مواقف أحباب البيان والحرية وانخرط رجالاات بها على منوال السي خلادي وغيره... لم يكن أمرا مقلقا تماما ولا ينطوي على خطر حقيقي بالنسبة للإدارة الاستعمارية - هذا إن لم نقل أنها كانت ترى في ذلك صمام آمان لها - لأنها مواقف لا ثورية فيها، بل هي أقرب للنضال النقابي.

مع ذلك، يبقى سؤال آخر هو : إن كانت هناك وطنية ما لدى السي خلادي فلماذا لم تدفع به إلى الانخراط في حزب الشعب - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ؟ وجوابنا على ذلك هو أنه بالرغم مما لمسناه عند السي خلادي من ميولات وطنية صادقة، فإن انضمامه إلى حزب الشعب - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية يبدو لنا أنه مسافة طويلة يصعب قطعها من الجانبين: فمن جانبه، كان السي خلادي، عندما بدأت هذه الحركة الوطنية نشاطها بعين الصفراء بداية من سنة 1948، قد جاوز الخمسين من العمر، أي أنه لم يعد ذلك الشاب الذي يمكن أن يتحمس لقضية ما؛ كما أنه في هذه السن كان قد حقق وضعية اجتماعية - اقتصادية ومهنية تصعب المغامرة بها. أما من جهة الحركة الوطنية لحزب الشعب، فقد كان السي خلادي وأمثاله مدانون مطلقا من قبل الحركة، لأنهم - وهذا حسب أدبياتها - هم من أسباب بؤس الشعب الجزائري. وفي الأخير يبقى الفصيل في كل ذلك، هي مواقفه خلال الثورة : هل بقي سوطا في يد الإدارة الاستعمارية، أم أنه على العكس من ذلك، أخفى وآوى وأطعم وقدم المال والمعلومات للمجاهدين ؟ توفي رحمه الله في السادس عشر من أوت سنة 1991 بمدينة الجزائر².

² - هذا، وقد قادنا فضولنا العلمي التاريخي إلى زيارة الواحة الجميلة لتبوت، موطن السي خلادي بن ميلود، وذلك لاستلهم ماضيه، والتعرف عليه في بيئته، يحذونا في ذلك الأمل للدخول إلى إقامته المحاذية للقصر العتيق والطواف في أروقها وحداثتها، وبالأخص بعد أن سارت بأهنتها وأناقها الأخبار. (أنظر كتاب شارل كلاينكنخت، ص. 147). وقد تم لنا الوقوف ببأها ومشاهدة أطلالها التي لازالت تشهد على مجد تليد غابر، وقد هالنا ما آلت إليه، فقد كادت تتحول إلى رشم دُرس، وأثر بعد عين، كأن لم تغن بالأمس، فقد شاخ نخيلها وصارت الدار مرتعا للحمام، وقد كانت بالأمس عامرة بالزائرين من علية القوم، قيادا وأغات وباش أغات ومسؤولين سامين، مدنيين و عسكريين، بالإدارة الاستعمارية الجزائرية، طرخوا ببأها،

وبذلت لهم فاخر " الضيفات " و حُضِرَت على شرفهم لذيذ الموائد والمشويات. أما اليوم فقد خلت الدار من أهلها وزوارها و لم يعد يسكنها إلا الحمام، دلالة على خراب. ووقفنا بباهة معتبرين، مرددين قوله تعالى : ﴿ كُمْ تَرْكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَالْكِهِينَ... ﴾ (سورة الدخان، 25-27) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذا، ولم نجد أثرا لأي معلم يدل على وجود " زاوية يوسفية " التي كان من المفروض أن يكون السي خلادي هو رئيسها.

كما لم نعدم في نهاية زيارتنا الخاطفة، القيام بزيارة للسي خلادي بن ميلود في مثواه الأخير، في قبره، بمقام جده الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف الذي غدت روضته مقبرة عائلية لعائلة السي خلادي، حيث وُري الباش آغا الثرى في مدخل الروضة بمحاذاة قبر السيدة زوليخة بنت عبد القادر الماحي، التي لا ندري أكانت أمه أم زوجته. ولم نستطع التعرف على قبر والده السي مولاي ولد السي محمد بن ميلود الذي توفي بتيارت، ولعله دفن بها، رحمة الله عليهم أجمعين.

Bibliographie

<https://www.senat.fr/>: Consulté le 11 24, 2020, sur
https://www.senat.fr/senateur-4eme-republique/benmiloud_khelladi0444r4.html

Archives Nationales d'Outre-Mer, Aix en Provence, France

A. N. O. M., 1H 75. (1948, Mai 24). Rapport du Colonel Quenard, Commandant Militaire du Territoire d'Ain-Sefra, à Monsieur le Ministre, Gouverneur Général de l'Algérie, Direction des Territoires du Sud- Sud/2, sur le trafic d'armes, n° 230/E.11, B.2. Colomb-Bechar.

A. N. O. M., 9H 67. (1945, mars 23). Rapport de l'Administrateur Principal de la Commune mixte d'Ain- Sefra à Monsieur le Colonel Commandant Militaire du Territoire à Colomb- Bechar, au sujet du « Manifeste », n° 123/5. Ain-Sefra.

A. N. O. M., 9H 67. (1945, Mai 14). Rapport de l'Administrateur Principal de la Commune mixte d'Ain-Sefra à Monsieur le Colonel Commandant Militaire du Territoire à Colomb- Bechar, au sujet de votre T. O. n° 67, signé Muselli.

A. N. O. M., 9H 67. (1945, Mai 29). Rapport du Lieutenant- Colonel Nabal, Commandant Militaire du Territoire Militaire d'Ain-Sefra à Monsieur le Ministre Plénipotentiaire, Gouverneur Général de l'Algérie, au sujet des Amis du Manifeste et de la Liberté, n° 115/S- F19/BI. Colomb- Bechar.

A. N. O. M., 9H 67. (1945, Juin 23). Arrêté de mise en résidence surveillée.

A. N. O. M., 9H 67. (1947, Juillet 2). Rapport de l'Administrateur Principal de la Commune Mixte d'Ain-Sefra à Monsieur le Colonel Commandant Militaire du Territoire à Colomb- Bechar, au Sujet d'attitude des Caïds Ben Miloud Ali et Ben Miloud Abderrahmane, n° 174/S, signé Muselli. 2. Ain-Sefra.

A. N. O. M., 21H 3. (s.d.). Notes sur les principaux personnages politiques et religieux du Territoire de Commandement, Annexe d'Ain-sefra.

A. N. O. M., 21H 36. (1923, Mars 19). Note pour Monsieur le Directeur du Cabinet de Monsieur le Gouverneur Général, au sujet du Chefs indigènes de l'Annexe d'Ain-Sefra, n° 172, Ain-Sefra.

A. N. O. M., 21H 36. (s.d.). Relevé des Notes du Chef indigène Si Moulay Ould Si Mohammed Ben Miloud pour l'an, année 1923 & 1924.

A. N. O. M., 21H 37. (1926, mars). Notice concernant le Bachagha des Amour, Si Moulay Ould Si Mohammed Ben Miloud. 2 p.

A. N. O. M., 23H 60. (1946, Mai). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M. .

A. N. O. M., 23H 60. (1946, Juillet). , Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 60. (1946, Aout). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 60. (1946, Septembre). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 60. (1946, Novembre). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 61. (1946, Décembre). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 61. (1947, Août). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 62. (1948, Avril). Annexe d'Ain- Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 62. (1948, Mai). Territoire d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 62. (1948, Octobre). Territoire d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 63. (1949, Novembre). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 64. (1949, Décembre). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 64. (1950, 15 Fev.-15 Mars). Territoire d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 65. (1951, Janvier). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 65. (1951, Mars). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 68. (1953, Octobre). Annexe d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 69. (1954, Janvier). Territoire d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 69. (1954, Mars). Territoire d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 23H 72. (1955, Octobre). Territoire d'Ain-Sefra, B. R. M.

A. N. O. M., 9 CAB 141. (1948). Note sur les élections dans le Territoire d'Ain-Sefra, S.L.N.A., Alger, 10 Avril 1948, signé J. V. Ricard.

A. N. O. M., 9 CAB 144. (1949, Avril). Note préparée par M. Lehureaux à l'intention de M. Le Gouverneur Général de l'Algérie pour le documenter succinctement sur la situation particulière de la Direction des Territoires du Sud, sur la situation générale dans les Territoires militaires et sur certaines décisions qu'il conviendrait de prendre. 69 p.

A. N. O. M., 9 Cab 89. (1948, Avril 8). Résultats des élections à l'Assemblée Algérienne dans les Territoires du Sud, n° 4846. Alger.

Kleinknecht, C. (2000). *Administrateur civil au de l'Algérie et des Territoires du Sud 1942- 1962*. l'Harmattan. *Sahara, Une vie au service*

محمد بن داره. الأخبار الثقات فيما وقع في توات، خلال انتخابات المجلس الجزائري، 4 و 11 أبريل 1948، أو ملحة
الحركة الوطنية بالجنوب الغربي الجزائري. (مخطوط).